

محموما في القرآن والحديث النبوي والتسرايث
الاسلامي عن آية او عبارة ليفسر بها على هواه
خصلة في خلق العربي تبدو له سيئة ، او اجراء
سياسيا اتخذته حكومة عربية ولم يصادف قبول
الغرب . واصبحت الصحيفة الالمانية تستعين
بأستاذ اللاهوت او التاريخ في احدى الجامعات
ليفسر لقرائها حركة المقاومة الفلسطينية من خلال
الاطار الديني التقليدي للمسلمين .

ويذكرنا هذا الموقف بنادرة من نوادر الهر كوينر
التي ألفها الشاعر والدرامي الالمني بيرت بريخت،
ليفسر بها فلسفته في الحياة ، باعتبار ان كوينر
يرمز له . يسأل احدهم الهر كوينر : ماذا تفعل
عندما تحب شخصا ؟ فيجيب كوينر : اني اعلم
رسما له واحرص على ان يشبهه . فيعود الاول
ليسأل : من تعني ؟ الرسم ؟ فيرد الهر كوينر :
لا ، الشخص . ان العنوان الذي وضعه بريخت
لهذه النادرة القصيرة الحكيمة هو : عندما يحب
الهر كوينر . فاذا قلنا هذا العنوان الى : عندما
تكره الصحافة الالمانية ، لوجدنا ان هذه الصحافة
كانت حريصة دائما على ان يكون الشعب العربي
شبيها بالصورة التي رسمتها له ، وليس العكس ،
ثم يجب الا تغرب عن باننا حقيقة بسيطة ، وهي
ان عدم وقوع ارض عربية تحت السيطرة الالمانية
في التاريخ الحديث ، جعلت البلاد العربية غريبة عن
الالمان . فالصحف الالمانية لم تكن يوما ذات الملم
واحاطة بالمنطقة بنفس درجة الصحف البريطانية او
الفرنسية ، او حتى الامريكية . فالي آخر يوم من
حياة الملك سعود بن عبد العزيز آل سعود ، كانت
الصحف الالمانية تطلق عليه اسم ابن سعود ، مع
ان ذلك هو لقب ابيه ، وهذا هو مجرد خطأ من
اخطاء لا تحصى تقع فيها الصحف الالمانية عند
التحدث عن العرب .

في البداية استقبلت الصحف الالمانية بروز حركة
المقاومة الفلسطينية بعد حرب خزيان ، بعاصنة
من التحكم والتشنيع . ولما كان الالمني هو بصورة
عامة ، عكس الفرنسي او الانكليزي ، بطيء
البديهة ، وثقيل الروح ، وسخريته تفتقر الى
الخفة والرشاقة التي تجعل من السخرية في ارتي
صورها فنا رفيعا يستدر في بعض الاحيان حتى

* في الادب الالمني الكلاسيكي كله لا توجد اكثر
من حفنة مسرحيات كوميدية .

فرصة سانحة لينهال على المانيا الديمقراطية ،
حكومة وصحافة ، بالتقريع والتجريح لانها جرؤت
على مهاجمة الحكومة الاسرائيلية . وتناسى السنير
ان النازيين القدامى يجلسون على مقاعد الحكم
في المانيا الغربية وليس في الشرقية ، وان العقاب
على معاداة السابية هو لا اقل منه صرامة في برلين
الشرقية مما هو في بون .

ما هو موقف الشعب الالمني من اليهود ؟ انسه
عموما يكرههم ، ليس فقط لان هتلر علمه ذلك ،
ولكن لانه لا زال يذكر (ولو أنه لا يوجد من يجرو
على كتابة ذلك) سيول اليهود المهاجرين الذين
تدفقوا من بولونيا وشيكوسلوفاكيا وروسيا ودول
البلطيق على بلاده في اعقاب الحرب العالمية
الاولى ، عندما استغل الالاف من هؤلاء المهاجرين
المعدمين انهيار المانيا الاقتصادي ليكونوا الثروات
السريعة في السوق السوداء قبل هجرتهم النهائية
الى الولايات المتحدة وكندا . ان حرب خزيان
لم تنس الالمان كراهيتهم التقليدية لليهود ، ولكن
الانتصار الاسرائيلي أدى الى مزج هذه الكراهية
بالاحترام والتقدير . فالاداء العسكري الجيد لقوم
لم تعرف فيهم الروح العسكرية من قبل ، انتزع
الاعجاب من الشعب الالمني العريق في العسكرية ،
والحرم من التباهي بامجاده الحربية بأمر من
الطفاء . ولذا كانت الصحف الالمانية اول من
عمد موشي ديان ثعلبا جديدا للصحراء وخليفة
جديرا للمارشال رومل .

أما بالنسبة للطرف المقلوب والمظلوم ، فطبول
الحرب المقدسة التي طالما اخافت اوربا في القرون
الوسطى ، وظل صداها يقرع في عقل الأوربي
الباطن ، هذه الطبول ثلاثى وقعها وسط موجة
الضحك والاستهزاء التي وجدت في العرب هدفا
لها اثر هزيمتهم . ان العرب والمسلمين هما لفظان
مترادفان بالنسبة للأوربي ، ويقدر ما يتعلق الامر
به ، فان حرب خزيان لم تكن مجرد محاولة عربية
مشروعة لتحرير ارض مغتصبة ، او على الأقل لصد
عدوان سافر ، وانما كانت اندحارا منكرا لآخر
حملة جهاد غير مقدس شنه الاسلام على الحضارة
الغربية كما هي متمثلة في اسرائيل ، تلك القاعدة
الامامية للديمقراطية والحرية ! والبارادوكس هنا
هو ان الغرب الذي كثيرا ما اتهم العرب والشرقيين
عامة بالاغراق في الغيبيات ، وبالتمصب الديني
والطائفي ، هذا الغرب هو الذي يبحث اليوم